الزواج

لم ار موضوعاً امسّ للعواطف والصق بالحياة واقرب للشعور من موضوع الزواج والبحث فيه وقد كثر بشأنه القيل والقال وتشعبت فيه الاراء فمن راغب عنه ومن مرغب فيه ولم يكن ذلك لان الزواج نظرية جديدة قد اختلف في اثباتها ولم تتم تجربتها الى اليوم ولكن قد طرأت حوادث على الامة لم تتحملها حواسها وحدثت طوارئ لم تقبلها عاداتها ولم تتهيأ الافئدة لقبولها بعد ولا حاجة بنا هنا الى اكثر من التلميح غير اني اقول ان الحرية اذا خالفت القوانين السماوية اولى بها ان تسمى فوضى لا حرية ويكفي فيها انها ردت كثيراً من الناس في كل الممالك عن اصل عظيم من اصول العمران وهو الزواج وكان اكثرها ارتداداً عنه الاكثر حرية كما يزعمون فاصبحوا يشكون داء قاتلا سرى في جسم المملكة وهو قلة التناسل ويستغيثون من جراثيم فتاكة قد انتشرت في الجو وتساقطت كيفما شاء القدر. اولئك هم الفوضويون فاكثر الامم حرية من هذه اكثرهم بلاء ومرضاً وايضاً قد ارتبط بالزواج عادات ثقيلة الحمل وقيد بقيود تخالف الحرية وتصعب على النفوس والنفوس الى الشر اميل فكيف ترضى ان تصبر دقيقة وهي حرة وبالجملة فاجتماع الضدين محال والتفصيل امره يطول بنا فنكتفي بهذه الاشارة الى ما وقف عثرة في سبيل الزواج وان كان لا ينقص من قيمته الحقيقية شيئاً كما سأبينه بالاجمال والحق لا يعدم منتصراً

وما زمنا نعترف بان ما اصاب اهل الشرق عموماً والاسلام خصوصاً

من هذه الموانع قليل بالنسبة لغيرهم فما بالنا لا نتغلب عليها ونقدر الزواج قدره

الزواج سنة من سنن الكون (وان تجد لسنة الله تبديلا) وفطرة من فطر الانسان (ولا تبديل لخلق الله) واصل من اصول العمران (ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) وداع من دواعي العمل (قوا انفسكم واهليكم نارا) وباعث من بواعث التدبير (وليحسن الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله) وشهوة من شهوات النفس (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) وغاية من غايات الراحة والطمانينة (خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وسبب من اسباب الزينة في الدنيا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وعصمة في الدين (من تزوج حفظ نصف دينه) واس من اسس العدل اذا اعدل يقضي بالمساواة على من خدمه الناس في جملة العالم وتعب لاجله ازواج وزوجات واطفال فيجب عليه ان يقابلهم بمثل ما عملوا والا كان ظالماً بتسخيره له وعدم تسخير نفسه لاجله واخيراً هو سر الله في عمار هذه الارض (انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله)

ومن ذا الذي يتردد في ان الزواج سنة من سنن الكون وسر من اسرار الله في عمارة ارضه وهو يعلم ان اصل النوع الانساني واحد وهو ابونا آدم وخلقت زوجته حواء منه لتكون جزءاً متمماً له ثم انتشر الى ما يرى من الملايين ابشيء غير الزواج والتناسل. كلا ان ذلك امر بديهي او من يتوهم انه ليس فطرة من فطر الانسان وهو يقرأ في جسمه ما كتب بقلم القدرة واضحاً

يعرفه الاميُّ والقارئ سواء ويحسّ بما اودعته الحكمة من الباعث صباح مساء او من يشك في انه شهوة من شهوات وهو اول امل يتولد في ذهن الصبي بعد ترعرعه وشبابه والنقطة التي ترمي اليها انظاره والمطلب السامي الذي يعالل النفس بالوصول اليه والامنية العزيزة التي تتشوف وتتشوق النفس اليها او من يظن انه ليس اصلاً عظيما للعمران وهو يعلم ان علامة الحياة والتقدم في الامم المتمدنة كثرة التناسل وهو ضالة الكثير المنشودة اليوم (فليت نصراء الحرية عرفوا نتائجها قبل تقريرها) او من لا يقول انه عصمة في الدين وهو يتحقق ان كل المصائب منشؤها الشهوات . وقد قال الامام علي (لولا لقمة اسوغ من لقمة ووجه اصبح من وجه ماسل حسام قط) واذا لم تكن المعاصي من هنا فمن اين تكون

قالوا ان اكثر الحوادث الجنائية في العالم سببها هذا الميل ولم لا يكون الزواج من اسباب الزينة في الدنيا ولا عز للانسان بغير قومه وعشيرته وقد رضي الناس ان تكون المصيبة في المال لا في العيال . او لم لا يكون غاية من غايات الراحة والطمأنينة واكثر حياة الانسان في بيته بعيداً عن الناس فاذا لم يكن معه من يؤانسه ويلاطفه فمن اين يطمئن باله او تستريح نفسه خصوصا والانسان عرضة لكثير من الآلام والمصائب . واي راحة للبال وطمأنينة للنفس اكثر من ان يعتقد الانسان بقاء ذكره في الدنيا بعد موته وحياة اسمه بعد فنائه

واما كونه من دواعي العمل وبواعث التدبير فهذا امر لا مرية فيه لان المكلف بشخص مثلا يصبح مكلفاً باثنين فاكثر فيزداد الصرف والعناء وانما الخلاف في كون الاضطرار للعمل من حسنات الزواج او من سيئاته

ولكن من علم ان الكسل مذلة وان قيمة الانسان في عمله وما كانت عظمة الرجال الا بالاعمال ومن علم ان العمل كفارة للذنوب ومجلبة للثواب وبه رفع الدرجات في الدنيا والآخرة (ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الحج ولا الصيام ولا الصدقة ويكفرها الهم في طلب المعيشة) من علم كل ذلك علم انه من حسنات الزواج لان سبب الخير خير وداعي الفضل فضل

فاذا كان هذا مقام الزواج وهذه حقيقته وقيمته فما بال قوم يترددون في ضرورته ويتشككون في فضله ويتمارون في حسنه وتثير اوهامهم العقبات في طريقه ماذا يريدون ؟ ايريدون ان تقوم القيامة بعد قرن في النهاية العظمى او يريدون ان ينقطع ذكرهم من الدنيا ويموت اسمهم بموتهم . كيف والانسان مجبول على حب حسن الذكرى وبقاء الاسم « وهو مما يدل على بقاء الروح بعد فناء الجسم . نعم ان ذلك لا يكون بمجرد الزواج ولكن الزواج اساسه واصله وبقاء الذكرى بغير الولد الصالح نادر . ايحملهم على ذلك توهم ان الولد ربما مات او مرض امام والده فيتجرع كأس الصبر مراً عليه . او توهم انه يزج به في شقاء هذه الدنيا واكدارها فيكون جانياً عليه . او توهم انه يصير مضطراً للعمل والكسل احب اليه . او توهم ان الزوجة ربما كانت غير صالحة فيكون العيش شقاء لا صفاء فيه ؟ ولماذا لا يتوهم ان الولد عاش وصار رجلا ونفع اباه وامه في شيخوختهما . ولماذا لا يقدر قيمة الثواب الذي يناله بصبره عند المصيبة فيفرح بها فرحه بالنعمة . ولماذا لا يتوهم انه صيره للوجود الذي هو افضل من العدم وان الشقاء في الدنيا هو في الواقع لذة متى صار الى غاية جميلة واما ان كان الكسل احب اليه فلا تعويل عليه . ولماذا لا يحتاط في امر الزوجة حتى تكون صالحة . ولماذا لا يتوهم انها مهما كانت فلا بد ان .

توأنسه في مرضه وتخدمه في يقظته ونومه وتفتح له بيتاً يأوي اليه فيحصل بعض مقاصد الزواج التي سنشرحها في الرسالة الآتية وكل آت قريب ان شاء الله

س ن . ان

المرأة والحياة

﴿ تابع ما قبله ﴾

ولقد ظهر مما سبق حالة الامة المصرية في التأخر والضياع من كل وجوه الحياة المدنية وانما للمعارض ان يقول بتكذيبنا في كل ما اوردناه ناظراً للظواهر حاكماً بها وهو اما مغتر او مغرر واما سليم النية او خبيثها . فلنا ان نقول له ان امة لا تعرف من اعمال الحياة شيئاً لا تصنع منها شيئاً ولا تعرف ان تصنع منها شيئاً بل انها تستجلب حتى ملبسها ومأكلها وكل ما يلزمها لتجعلها ظاهرياً في مصاف الامم المتمدنة لجديرة بالسقوط والتلاشي وكل كاتب ليس له غرض في نفسه لا بد ان يقول كذلك

وما علينا غير ابداء كلمة واحدة في الشبيبة المصرية الغنية والفقيرة من الامة فنقول :

ان رجال الغد كما لا يخفى هم ابناء اليوم والغصن كما عودته ان مال صغيراً لا يستقيم كبيراً وهل يستقيم الظل والعود اعوج . اما اغنياؤهم وهم ابناء الطبقة العليا في الثروة من المصريين فهم اولئك الشبان المارقون الطائشون المبددون ثروة جمعها آباؤهم من دم الفقير المصري بالظلم والاستبداد في

حانات الفجور ونوادي الخمور نصيبهم من الدنيا التبذير في اهواء الشيطان والتقتير في مواضع الاحسان والتصرف بالملكات ومواهب النفس الناطقة في كل طالح ومفسدة حتى لتراهم وقد طال بهم عهد الغي على البغي كأنهم ضلوا عن الرشد او طاشت عقولهم وزالت احلامهم وطمس على بصائرهم وعميت ابصارهم فاصبحوا كمن يتخبطه الشيطان من المس اذا سمعوا النصح قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون أولئك الذين خسروا نعمة حب الوطن واولئك نصيبهم من حياتهم المقت والذل تحت نير الاستعباد ورق العبودية فهم ممن ختم الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وما هم بمهتدين . يتركون بيوتهم وحرائرهم وقد سلبوا حليهن ومصوغاتهن ليزفوها الى بيوت الميسر ويهدوها لربات الفجور وتلك نساؤهم نائمات على فراش الاسى وجمر الاصطبار لاحكام الواحد القهار حتى اذا ما استيأسن من ازواجهن خرجن الى الاسواق وفعلن ما امر الله ان لا يفعل ولكن على من تعود اللائمة ومن يستحق اذن التربية والتعليم ... ولماذا تلام المرأة وهل من العدل لومها ؟ والامر كما ذكر . قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان

وظاهر ظهور الشمس للعيان ان الرجل ان قام بواجبات الزوجة فهي اشد الناس حرصاً على القيام بواجباته اكثر مما يجب ولو فعل بعض ما امره به الشرع الشريف لحسنت حالة الاثنين في الدنيا والآخرة ولكان الاولى والاجدر بمن طلب حرية المرأة ان يطلب تربية الرجل المصري المسلم الذي لا يفتكر في المرأة غير انها دابة خلقت له صابرة على ظلمه وجوره واهانته ورذيلته وجهله وطيشه وحمقه له ان يفعل بها ما يشاء وعليها ان تطيع ما امكن